الأرواح المهيّمة في العرفان والفلسفة الإسلامية

جواد فضائلي نوغاني (الكاتب المسؤول)
طالب دكتوراه، فرع الفلسفة والكلام الإسلامي، جامعة العلوم الإسلامية الرضوية، مشهد المقدسة، إيران
Pm.poolad@yahoo.com
سيد عباس حكيم زاده
طالب دكتوراه، فرع الفلسفة والكلام الإسلامي، جامعة إيلام، إيلام، إيران
S.a.hakim69@gmail.com
الدكتوره ساره تقوايي
الأستاذة المساعدة وعضو هيأة التدريس في قسم الفلسفة، جامعة جهرم، إيران
Sareh-taghvaee@yahoo.com

The Mouhayyam spirits" in Islamic Mysticism and Philosophy

Javad Fazaeli Noughani (Responsible author)
PhD Student in Islamic Philosophy and Theology , University of Islamic Sciences Razavi , Mashhad , Iran
Sayyed Abbas Hakimzadeh Kherad
PhD Student in Philosophy and Islamic Theology , Ilam University , Ilam , Iran
Sareh Taghvaee
Assistant Professor , Department of Islamic Philosophy and Theology Faculty of Literature and Humanities , Jahrom University , Iran

الملخص:-

وفقا لـ"قاعدة الواحد" لا يصدر عن الذات الأقدس الإلهية – وهي واحدة بسيطة – سوى صادر واحد، عُبّر عنه في النصوص الدينية والفلسفية والعرفانية باسم "الصادر الأول". وأفادت النصوص الدينية أن الصادر الأول عن الذات الإلهية البسيطة هو الإنسان الكامل؛ أي الحقيقة المحمدية i ؛ فالإنسان الكامل هو الظهور التام للذات الإلهية ومرآة تجليها الكامل، ويمكن فرض نحوين من الظهور له؛ الظهور بنحو الجلال الإلهي ويكون فانيا وممحوا في جلاله ولا يشهد سوى الذات؛ فلا يشهد وجود نفسه بل وحتى لا يعلم بخلق العالم وآدم، والظهور الثاني بنحو الجمال الإلهي ويشهد في هذا الظهور الكثرات، وعبرت النصوص الدينية عن الظهور الجمالي للحقيقة المحمدية i بتعبير العقل الأول، وهو مبدأ السلسة الطولية والواسطة في خلق الممكنات.

يهدف الباحث في هذه الدراسة القائمة على المنهج الوصفي التحليلي إلى بيان وشرح المسألة التالية: الأرواح المهيَمة ليست هي الصادر الأول؛ بل هي أول ظهور وتجلٍ للصادر الأول، هذه الأرواح ولأنها متوجهة للجلال الإلهي فهي مبهوتة بالذات ولا تشهد غيرها، وعليه فإنّ المقام الوجودي للأرواح المهيمة لا يتنافى مع "قاعدة الواحد" وذلك لأنّ ما يصدر حقيقة عن الواحد البسيط هو الصادر الأول (الحقيقة المحمدية i) والأرواح المهيمة هي الظهور الجلالي للصادر الأول، ومن ناحية ثانية فمع أنّ الأرواح المهيمة في عرض العقل الأول إلا أنها تتقدم عليه بالشرف، وذلك بسبب تقدم الجلال على الجمال بالشرف.

الكلمات المفتاحية: الحقيقة المحمدية، الأروح المهيَمة، العقل الأول، الشهود، الظهور.

Abstract:-

According to the "rule of the one", only one source of God, the Most Holy One, and it is a simple one, is expressed in religious, philosophical and mystical texts as "the first source." Religious texts stated that the first emission from the simple divine self is the perfect human being; i.e. the Muhammadan truth (pbuh); The perfect human being is the complete manifestation of the Divine Essence and the mirror of its full manifestation, and two forms of manifestation can be imposed on him; Appearing in the manner of the divine majesty, it is transient and erased in its majesty, and only the Essence bears witness; He does not witness the existence of himself, or even does not know about the creation of the world and Adam, and the second appearance in the manner of divine beauty, and in this appearance there are many. Religious texts expressed the aesthetic appearance of the Muhammadan reality (PBUH) in the expression of the first mind, which is the principle of the longitudinal chain and the medium in the creation of possibilities.

In this study, which is based on the descriptive analytical method, the researcher aims to clarify and explain the following issue: The important spirits are not the first issue; Rather, it is the first appearance and transfiguration of the first source, these souls, and because they are directed to the divine majesty, they are fascinated by the essence and do not testify to others, and accordingly the existential position of the dominant souls does not contradict the “rule of the one” because what truly emanates from the simple one is the first source (Al-Haqiqa Muhammadiyah (p.)) And the dominant spirits are the majestic manifestation of the first source, and on the other hand, although the dominant spirits are in the presentation of the first intellect, they precede it with honor, because of the precedence of majesty over beauty with honor.

Key words: The Muhammadan truth, the dominant spirit, the first intellect , the witnesses , the appearance**.**

١ـ المقدمة:ـ

من المسائل البالغة الأهمية في جميع المدارس الفكرية الإلهية مسألة كيفية خلقة الموجودات المجرد منها والمادي؛ وبشكل عام تفسير صدور الكثرات عن الذات الإلهية الواحدة والبسيطة؛ بحيث تكون البراهين الفلسفية والعرفانية والقرآنية متناغمة مع بعضها الآخر، وخالية من التناقض فيما بينها، ولا يمكن إنكار أصل مسألة صدور الكثرة من الواحد البسيط، ولكن اختلاف الآراء وقع في كيفية صدور الكثرة من ذلك الواحد البسيط.

بدأ ظهور الكثرة من الواحد البسيط من عالم العقول، ومن ثمّ عالم المثال، واُختتم في النهاية في عالم الطبيعة، وقد عُبّر في النصوص الدينية عن هذه العوالم الثلاث بعالم الأرواح والملائكة والدنيا.

يمكن تصور موجودات عالم العقل؛ أو كما يعبر عنها دينيا "الأرواح" على نحوين؛ فبعضها يتصرف فيما دونه وتسمى في الاصطلاح الفلسفي عقولا، وبعضها الثاني وبسبب انغمارها في شهود الذات الإلهية تكون فاقدة للقدرة على التصرف في الغير، وذلك لأنّ القدرة فرع للإدراك والشهود؛ في حين أنّ مشهود هذه الموجودات هو الذات الإلهية وحسب، وهي غافلة عن شهود غير الذات لإلهية وحتى عن شهود أنفسها، وقد ورد وصف وذكر مثل هذه الموجودات في مواضع من النصوص الدينية والفلسفية والعرفانية.

ويبدو أنّ أول تناول لمسألة "الأرواح المهيمة" إنما كان في كتب الروايات والأحاديث، ففي بعض الروايات جاء ذكر موجودات ممحوة ومبهوتة بالجلال الإلهي ولا علم لها بعوالم الخلقة، وبالنظر إلى أنّ هذه الموجودات هي نفسها جزء من عالم الخلقة، فبالتالي تكون غير عالمة حتى بنحو وجود ذواتها.

ولأجل الوصول إلى معرفة صحيحة بالمكانة الوجودية للأرواح المهيمة، ورد الاشكالات والشبهات المذكورة في المقام من الضروري ذكر المقدمات التالية:

١-١- المهيّم في اللغة:

في اللغة الهيم والهيام مصدر، ومعناه أن يسير الإنسان مدفوعا بالعشق وما شبهه دون أن يعلم هدفه ومقصده، ((هام يهيم: خرج على وجهه لا يدرى اين يتوجّه)) (ر.ك

الفيومي، بلا تا: ٦٤٦/٢) وقال ابن منظور: والهائمُ: المتحيِّرُ. وفي حديث عكرمة: كان على أَعْلَمَ بالمُهَيِّمات؛ يقال: هامَ في الأمر يَهِيم إذا تحيّر فيه، ويروى المُهَيْمِنات، (ر.ك. ابن منظور، ١٤١٤: ٦٢٦/١٢)

والتهيّم في اللغة يعني شدة الهيمان، والهيمان يحصل من شدة الحب والعشق، وهذه الأرواح بسبب شدة عشقها وهيمانها وفنائها في جلال المحبوب لا تنظر إلى غيره بل هي غافلة حتى عن أنفسها، ومنشأ حب وعشق المهيّمين هو التجليات الجمالية للحق تعالى.

١-٢- لمحة عامة

١-٢-١- الأرواح المهيمة في الروايات

تضمنت الروايات إشارات إلى فكرة تقول أنّ للباري سبحانه خلق مخلوقات منقطعة تمام الانقطاع لعبادته وليس لهم علم بخلق آدم ولا خلق العالم، وكانت هذه الفكرة ملهمة للعلماء في هذه المسألة، ومع مراجعتنا للروايات يتضح أنّ هذا المضمون قد جاء فيها بصور وأطر مختلفة، نشير فيما يلي إلى بعض منها:

نقل الكليني في كتابه الكافي والعلامة المجلسي في بحار الأنوار روايات حول مثل هذه الموجودات:

١- دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّه a فَقَالَ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذِه قُبَّةُ آدَمَ؟ قَالَ نَعَمْ وَ للَّه قِبَابٌ كَثِيرَةٌ أَلَا إِنَّ خَلْفَ مَغْرِبِكُمْ هَذَا تِسْعَةٌ وَ ثَلَاثُونَ مَغْرِباً أَرْضاً بَيْضَاءَ مَمْلُوَّةً خَلْقاً يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ لَمْ يَعْصُوا اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَا يَدْرُونَ خُلِقَ آدَمُ أَمْ لَمْ يُخْلَقْ.(الكليني، ١٤٠٧: ٢٣١/٨)

٢- عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ a قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ مِنْ وَرَاءِ شَمْسِكُمْ هَذِه أَرْبَعِينَ عَيْنَ شَمْسٍ مَا بَيْنَ شَمْسٍ إِلَى شَمْسٍ أَرْبَعُونَ عَاماً فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ أَوْ لَمْ يَخْلُقْهُ وَ إِنَّ مِنْ وَرَاءِ قَمَرِكُمْ هَذَا أَرْبَعِينَ قَمَراً مَا بَيْنَ قَمَرٍ إِلَى قَمَرٍ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ يَوْماً فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ أَوْ لَمْ يَخْلُقْهُ(المجلسي، ١٤٠٣: ٤٥/٢٧)

٣- وجاء في رواية عن الإمام الصادق a حول أهل مدينتي جابلقا وجابلسا

الرمزيتين أنهم:لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَلَا إِبْلِيسَ وَلَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ.(المجلسي، ١٤٠٣: ٣٣٦/٥٤)

٤- عَنِ النَّبِيِّ i أَنَّهُ قَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ: وَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيّاً إِنَّ خَلْفَ الْمَغْرِبِ أَرْضاً بَيْضَاءَ فِيهَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَعْبُدُونَهُ وَ لَا يَعْصُونَهُ وَ قَدْ تَمَزَّقَتْ لُحُومُهُمْ وَ وُجُوهُهُمْ مِنَ الْبُكَاءِ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ لِمَ تَبْكُونَ وَلَمْ تَعْصُونِي طَرْفَةَ عَيْنٍ؟ قَالَ نَخْشَى أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ يُعَذِّبَنَا بِالنَّارِ. قَالَ على a : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هُنَاكَ إِبْلِيسُ أَوْ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ؟ فَقَالَ وَ الَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَ لَا إِبْلِيسَ وَ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ وَ مَسِيرُ الشَّمْسِ فِي بِلَادِهِمْ أَرْبَعُونَ يَوْماً لَا يَأْكُلُونَ وَ لَا يَشْرَبُونَ.(المجلسي، ١٤٠٣: ٣٤٩/٥٤)

وإنّ نحو وجود الأرواح المهيّمة ومكانتها هو بحيث لا يمكن شهودها للجميع، فهذا الشهود لا يكون إلا للإنسان الكامل، فقد نقل عن أمير المؤمنين a كلام يفيد بأنّه لا أحد من الناس يمكنه إدراك هذه المجردات والعلم بها سوى أولياء الله سبحانه؛ الذين تخلصوا من مقام الجسم والطبيعة ووصلوا إلى مقام القرب.

رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ a أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مِنْ وَرَاءِ قَافٍ عَالَماً لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَ أَنَا الْمُحِيطُ بِمَا وَرَاءَهُ وَ عِلْمِي بِهِ كَعِلْمِي بِدُنْيَاكُمْ هَذِهِ وَ أَنَا الْحَفِيظُ الشَّهِيدُ عَلَيْهَا وَ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَجُوبَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا وَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَ الْأَرَضِينَ فِي أَقَلَّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ لَفَعَلْتُ لِمَا عِنْدِي مِنَ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ وَ أَنَا الْآيَةُ الْعُظْمَى وَ الْمُعْجِزُ الْبَاهِرُ.(المجلسي، ١٤٠٣ ق:٣٣٦/٥٤)

ولا يختص وجود مثل هذه الروايات في كتب الحديث الشيعية بل نجد روايات في نفس المضمون في كتب الحديث عند أهل السنة، وهي روايات تدل على وجود الأرواح المهيّمة. (السيوطي،١٤٠٤: ٦/ ١٣٠، ابن أبي حاتم، ١٤١٩: ٢٠٨٦/٦، ابن كثير،١٤١٩: ٨ / ١٧٩).

١-٢-٢- الأصول اللازمة لاستخلاص مفاد الروايات

لاستخلاص النتائج الدقيقة من الروايات المذكورة آنفا من المهم والضروري الالتفات إلى بعض الأصول الموضوعة المثبتة في موضعها:

الأول: المعيار في العقائد هو اليقين البرهاني، ولا مكانة للظن في هذا المجال، ومن البديهي وجود تمايز في هذا الصدد بين علمي العقائد والفقه، بعبارة أخرى هناك اختلاف بين مجالي الفقه والعقائد في مكانة واعتبار الظنون كظواهر القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ وذلك لأنّ الهدف والمدعى في الفقه يختلف عما هو عليه الحال في العقائد، بعبارة أخرى في العقائد لا يفيدنا سوى الدليل القطعي، ولا مدخلية لظواهر الكتاب والسنة سوى كونها مؤيدة للبراهين القطعية، وهذا على خلاف ما هو موجود في الفقه؛ حيث أعطيت الأدلة الظنية أهمية بالغة، وعليه لا يمكن في مجال العقيدة الاستعانة بالروايات والأحاديث الموجودة في الكتب الروائية إلا إذا كانت متواترة منصوصة؛ فمثل هذا النوع من الأحاديث وبسبب تأييد العقل لها تفيد اليقين. وفيما يتعلق بالروايات التي تشير إلى الأرواح المهيمة؛ فعلى الرغم من أنها لم تبلغ حد التواتر وبلغت فقط حد الاستفاضة؛ إلا أنه لا يمكن ردها وإنكارها، ومن جهة ثانية نجد في باب الأرواح المهيّمة أن البرهان والعرفان والروايات تفسر كيفية وجود هذه الأرواح في جهة واحدة، وعليه لا يوجد ما يدفعنا لتفسير هذه الروايات بغير الأرواح المهيّمة.

الثاني: من المستبعد عقلا أنتكون هذه الروايات مجعولة وموضوعة، وذلك لأنّ جعل الحديث إنما يكون بدافع كسب منفعة للجاعل، ولكن بالنسبة للأرواح المهيمة لا نتصور دافعا لأشخاص ذوي معرفة وعلم في مستوى ما قبل ألف عام ليقوموا بمثل هذا الجعل، والمضامين العالية لهذه الروايات تبين بوضوح أنه لم تصدر من غير المعصوم، وأنها بعيدة كلّ البعد عن الجعل والتحريف. .

الثالث: وضعت الألفاظ للمعاني العامة والكلية، وتعدّ المعاني العرفية مصداقا للمعنى الكلي، وعليه يجب ألا نفسر الألفاظ والتعابير في النصوص الدينية ولاسيما في القرآن الكريم بالمعاني الظاهرية والعرفية؛ وإنما ينبغي التفسير استنادا إلى القرينة الحالية والمقامية بما يتناسب مع تلك القرائن.

فعلى سبيل المثال في الآية الشريفة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ "الفتح/الآية ١٠" لا يمكن تفسير كلمة "اليد" باليد الجسمانية المعروفة، وإنما وضعت كلمة "اليد" للمعنى العام "أداة إنفاذ

القدرة" وبناء عليه كل أداة تستخدم لإنفاذ القدرة تسمى "يدا"، ولذلك نجد في بعض الروايات وصف المعصومين d بصفة "يد الله"[1] (الكليني، ١٤٠٧:١/١٤٥؛ المجلسي،١٤٠٣: ٩/٤؛ الصدوق، ١٣٩٨: ١٦٤).

ومن جهة أخرى وبسبب قصور الفهم عند المخاطبين لا تخلو تعابير القرآن الكريم والروايات الشريفة عادة من الكناية والاستعارة، وبالنظر إلى هذه المسألة الأصولية يبدو أنّ هذه المجموعة من الروايات ليست مستثناة من هذه القاعدة، وعليه لا يمكن أن نحمل الألفاظ الواردة في الروايات من قبيل الشمس، واللحم، والجلد على الشمس واللحم والجلد المادية المعروفة، وذلك أنّ الموجود المادي لا يمكن أن يبقى بلا تغذية؛ ولا معنى لوجود الموجود المادي بلا علم بنفسه وعلته، في حين أنّ بعض تلك الروايات قد نفى مثل هذه الصفات عن هذه الأرواح؛ وبالنتيجة هذه الأرواح ليست مادية بل مجردة عن المادة.

١-٢-٣- نتيجة الروايات

بالنظر إلى الروايات المنقولة والروايات الأخرى المشابهة لها، يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

١- هناك موجودات وراء عالم الطبيعة غارقة في الجمال والجلال الإلهي وليس لها علم إلا بذات الباري تعالى، سميت هذه الموجودات في العرفان والتصوف الإسلامي باسم "الأرواح المهيّمة"، و التي يمكن تطبيقها على نفس تلك الموجودات المذكورة في النصوص الدينية.

٢- بعض هذه الروايات يشير إلى أنّ تلك الموجودات لا تأكل ولا تشرب، (المجلسي، ١٤٠٣: ٥٤/٣٤٩) وهذا دليل على تجرد هذه الملائكة، نعم في بعض آخر من الروايات نسبت إليها صفات مادية؛ من قبيل: اللحم والجلد، واللون، وفي ذلك كناية على شدة خضوعها في الحضرة الأحدية، وقد أُثبت في مكانه تجرد الملائكة بالأدلة العقلية، والمؤيدات النقلية.

٣- يمكن اعتبار وجه الجميع بين المعنى الظاهري للروايات في وجود أرض بيضاء نورانية، والخلق فيها مشغولون بعبادة الباري تعالى، ولا يعلمون بشيء سوى الذات الإلهية، وبعبارة أخرى هذه الموجودات غارقة في الجمال والجلال الإلهي، وليس لها شهود سوى شهود الذات الأقدس الإلهية.

٤- كيفية وجود الأرواح المهيّمة هي ذاتها كيفية ظهور الحقيقة المحمدية i ، ولذلك نجد التصريح في بعض هذه الروايات أنّ أمير المؤمنين a هو نفس النبي الأكرم i بالمعنى الحقيقي. (المجلسي، ٣٣٦/٥٤)

٥- يعدّ مصطلح "الجهل" من التعابير التي لها وجهان الأول إيجابي وقيّم والثاني سلبي؛ فمثال الأول الجهل بالنفس والنفسيات وعدم معرفة ما سوى الله سبحانه، والثاني كالجهل بالذات الإلهية المقدسة وبالمعارف الإلهية، ومع التأمل في الآيات والروايات نستنتج أنّ كلا معنيي الجهل المذكورين آنفا قد استُعملا في النصوص الدينية، ومع التدقيق في روايات الأرواح المهيّمة نعلم أنّ جهل هذه الأرواح هو جهل إيجابي وقيّم، ويؤدي إلى الكمال، لذلك هي متقدمة على العقل الأول.

١-٣-الخلفية العرفانية والفلسفية

لا يوجد في كتب الحكماء قبل الملا صدرا بحث حول الأرواح المهيمة في عرض العقل الأول أو في مرتبة مقدمة عليه، والملا صدرا هو أول فيلسوف تحدث عن الأرواح المهيمة، واعتبر أنّ المقام الوجودي للأرواح المهيمة هو ذاته مقام العقول، وأنها هي ذاتها العقول، ويرى الباحث أنّ في هذا الكلام محل للنقد والمراجعة سيطرح في مكانه، وقد قال حكماء الإشراق المعتقدين بوجود العقول العرضية بوجود فرد عقلاني للأنواع المادية وفي مقابل أفراد كل نوع يكون في صف العقول الطولية، لذلك واجهوا إشكالات في مقام استناد هذه العقول إلى السلسلة الطولية، فما بالك بأن يقولوا بالأرواح المهيمة -المتقدمة بالشرف على العقول- في رتبة متقدمة على العقل الأول أو في عرضه، (ر.ك: ابن تركة،٨٧:١٣٦٠).

يرى الملا صدرا أنّ المجردات التامة والعقول المجردة هي نفسها الأرواح المهيمة، كما ذهب القيصري للقول في شرح فصوص الحكم أنّ العقل الأول من الأرواح المهيمة (ابن عربي، ١٣٧٠: ٨٤٩) في حين أنّ الباحث يرى عدم صحة هذا الرأي، وذلك لأنه نظرا إلى الصفات المنقولة للأرواح المهيمة لا يمكن مطلقا تفسيرها بالعقول المجردة، نعم مثل هذا الكلام يحلّ إشكال قاعدة الواحد ولكنه لا يتوافق مع ظاهر الروايات ومشاهدات العرفاء.

١-٣-١- المقدمات الفلسفية لبيان هذا البحث

١-٣-١-١- العلم والشهود

قسم الحكماء العلم إلى حضوري وحصولي؛ والثاني هو حصول صورة من المعلوم عند العالم، والثاني هو حضور نفس المعلوم عند العالم (الطباطبائي، ١٤١٦: ٢٣٧). ويرى الحكماء أنّ العلم بقسميه ينضوي تحت مقولة الكيف النفساني(السابق:٣٦) مع تمايز بينهما؛ هو أنّ العلم الحصولي يقبل الانتقال إلى الآخرين عن طريق المفهوم؛ في حين لا يصح ذلك بالنسبة للعلم الحضوري، ويمكن فقط الإخبار عنه.

الشهود نوع من العلم والإدراك عُرّف في التصوف والعرفان الإسلامي على النحو التالي:

والمراد بـ((الذوق)) ما يجده العالم على سبيل الوجدان و الكشف، لا البرهان والكسب، ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد. فإن كلا منها، و إن كان معتبرا بحسب مرتبته، لكنه لا يلحق بمرتبة العلوم الكشفية، إذ ليس الخبر كالعيان (القيصري، ١٣٧٥: ٧١٦).

وليست المعرفة الشهودية من سنخ المفاهيم؛ بل هي مشاهدة لنفس المعلوم ولذلك لا تخضع لمعيار الصدق والكذب، بل هي كما في العلم الحضوري نوع من إحاطة العالم بالمعلوم، ولا نقصد بالإحاطة هنا مفهوم الإحاطة بل المقصود هو أنّ حقيقة الشيء المحاط به توجد في المحيط، وكل ما لدى المحاط به موجود لدى المحيط، وعليه يكون العلم نوعا من الإحاطة الوجودية.

ويعتقد العرفاء الإسلاميون أنّه لا يمكن الإحاطة بكنه ذات الحق تعالى، وبيان ذلك أنّه طالما أنّ الباري تعالى موجود لا محدود وما سواه محدود فلا معنى لأن يحيط الوجود المحدود بحقيقة الوجود غير المحدود، وبناء عليه لا يمكن للمخلوقات أن تصل إلى شهود الذات الإلهية، ولكنّ هذه الحقيقة غير المحدودة تظهر نفسها وهذا الإظهار هو نوع من التجلي والتعين، ونصيبنا من المعرفة بالباري تعالى هي هذه الظهورات والتجليات، فإذن يكون معنى العلم الممكن بالباري سبحانه هو العلم بهذه التجليات.

ويبين صدر الدين القونوي هذه الفكرة على النحو التالي:

إنّ الحق لّما لم يمكن أن ينسب إليه من حيث إطلاقه صفة ولا اسم أو يحكم بحكم ما سلبيا كان الحكم أو إيجابيا؛ عُلم أنّ الصفات والأسماء والأحكام لا تُطلق عليه ولا تُنسب

إليه إلا من حيث التعينات (القونوي، ١٣٧١: ٣٠).

١-٣-١-٢- قاعدة الواحد

تعدّ قاعدة "الواحد لا يصدر منه إلا الواحد" من الأصول والمباني المهمة في الفلسفة الإسلامية، وقد عمد الفلاسفة إلى إثباتها والبرهنة عليها بالأدلة والبراهين العقلية والأصول الفلسفية، وقد أشار ابن رشد إلى أنّ جميع فلاسفة اليونان القدم قد أجمعوا على القول بقاعدة الواحد واتفقوا على صحتها(ر.ك: تهافت التهافت؛ ١٩٦٤: ٣/٢٩٢-٣٠٦)

وقال الخواجة نصير الدين الطوسي أنّ الفلاسفة اعتبروا هذا الأصل أمرا فطريا وقريبا من البداهة، وأنهم يقولون أنّ ما أقيم على هذا الأصل من أدلة وبراهين إنما هو من باب التنبيه والإشارة إلى أمر فطري، وأنّ رفض البعض لهذا الأصل نجم عن عدم إدراكهم الصحيح لمعنى الواحد والوحدة الحقيقية.

يريد بيان أنّ الواحد الحقيقي لا يوجب من حيث هو واحد إلّا شيئا واحدا بالعدد، وكأنّ هذا الحكم قريب من الوضوح و لذلك وسم الفصل بالتّنبيه، و إنّما كثرت مدافعة الناس إيّاه لإغفالهم عن معنى الوحدة الحقيقيّة (نصير الدين الطوسي؛ ١٣٧٥، ٣/١٢٢).

يقول الإمام الخميني رحمه الله حول قاعدة الواحد:

والحق، سبحانه، من حيث وحدة وجوده لم يصدر عنه إلا واحد، لاستحالة إظهار الواحد وإيجاده من حيث كونه واحدا ما هو أكثر من واحد. لكن ذلك الواحد عندنا ما هو الوجود العام المفاض على أعيان المكوّنات و ما وجد منها و ما لم يوجد مما سبق العلم بوجوده، وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلى... و بين سائر الموجودات)) (الخميني،١٣٧٦: ٦٤- ٦٥؛ القونوي، ١٣٧١:٧٤؛).

بالنظر إلى السنخية بين العلة والمعلول وإلى أنّ تمام الذات البسيطة هي علة نستنتج أنّ صدور أكثر من معلول واحد من هذه العلة البسيطة يكون سببا في التكثر في ذات العلة، لأن تعدد المعلول يستلزم تعدد الجهات في الذات الإلهية، وبناء عليه فإن الذات الإلهية المقدسة والتي هي بسيطة من جميع الجهات ولا تتضمن أي نوع من التركيب والكثرة لا يصدر عنها إلا صادر واحد.

أما عند العرفاء فقاعدة الواحد والترتيب في خلق الموجودات هي قضايا مسلمة ومقبولة، ولكن يتمايزون عن الفلاسفة في مصداق الصادر الأول، فالفلاسفة يرون أن الصادر الأول هو العقل الأول، لكنّ العرفاء ذهبوا للقول أنّ أول صادر بلا وساطة عن حضرة الحق سبحانه هو الوجود المنبسط، وهو سار وجار في حقائق الممكنات، بحيث يكون شاملا لجميع عالم الإمكان، وبالأساس كل ما هو منضو تحت مفهوم الممكن إنما هو ظهور للوجود المنبسط.

١-٣-١-٣- الصادر الأول

الذات المقدسة للباري تعالى وجود محض والوجود مساوق للظهور، وعليه لا يمكن فرض الذات الإلهية بلا ظهور، ويقال لأول ظهور للذات الإلهية الصادر الأول، وعُبر عنه في النصوص الدينية العقل، والنور، والروح، و... (الملا صدرا، ١٣٨٣: ٢١٦/١)

ومن الضروري الانتباه إلى أنّ المراد من الأولية عند الحديث عن أول مخلوق هو الأولية الرتبية وليس الأولية الزمانية؛ وذلك لأنّ الزمان مفهوم ينتزع من مقدار الحركة، والحركة من خصائص المادة، فلا معنى للزمان فيما فوق عالم المادة (العقول والمجردات التامة)، فالحركة بمعنى الخروج من القوة إلى الفعل لا تكون إلا في عالم المادة.

الصادر الأول موجود ممكن الوجود يكفي إمكانه الذاتي وفقره الوجودي لتنوره بنور الوجود، وليس محتاجا للعلل الإعدادية ولا للإمكان الاستعدادي، وهو قبل جميع الأشياء منور بنور الوجود ولا يحتاج إلى أيّ واسطة أو رابطة[٢].

وقد جاء الحديث صريحا عن الصادر الأول في النصوص الدينية:

عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ a يَا جَابِرُ إِنَّ اَللَّهَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ خَلَقَ مُحَمَّداً i وَعِتْرَتَهُ اَلْهُدَاةَ اَلْمُهْتَدِينَ فَكَانُوا أَشْبَاحَ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ اَللَّهِ قُلْتُ وَمَا اَلْأَشْبَاحُ قَالَ ظِلُّ اَلنُّورِ أَبْدَانٌ نُورَانِيَّةٌ بِلاَ أَرْوَاحٍ وَكَانَ مُؤَيَّداً بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ رُوحُ اَلْقُدُسِ فَبِهِ كَانَ يَعْبُدُ اَللَّهَ وَعِتْرَتُهُ وَ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ حُلَمَاءَ عُلَمَاءَ بَرَرَةً أَصْفِيَاءَ يَعْبُدُونَ اَللَّهَ بِالصَّلاَةِ وَاَلصَّوْمِ وَاَلسُّجُودِ وَاَلتَّسْبِيحِ وَ اَلتَّهْلِيلِ وَيُصَلُّونَ اَلصَّلَوَاتِ وَ يَحُجُّونَ وَيَصُومُونَ.(الكليني، ١٤٠٧: ٤٤٢/١)

ويتبين بجلاء عبر هذه الرواية أنّ الوجود العلمي والنوراني للنبي الأكرم والأئمة المعصومين d هو أول صادر عن الذات الإلهية.

١-٣-١-٤- الاسم والصفة

الاسم هو ما يبين خصوصية في الذات. ومن ناحية العلم والشهود هما بمعنى الإحاطة الوجودية، وهو نوع من سلطة العالم على المعلوم، ومن ناحية ثانية ليس لممكن الوجود أي سلطة على واجب الوجود، وبناء عليه تكون ذات غيب الغيوب الإلهية غير محكومة بأيّ حكم وغير معروفة بأي معرفة، وغير مقصودة وغير معبودة لأي شيء، وبالنتيجة ليس لذات غيب الغيوب الإلهية صفة أو اسم(٣).

وبناء على ما سبق فإنّ أقصى معرفة يمكن أن نصل إليها للأسماء والصفات هي معرفة وجه الله أو الصادر الأول والحقيقة المحمدية i كما جاء في القرآن الكريم ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٢٦-٢٧) ففي هذه الآية الشريفة جاءت عبارة "ذو الجلال والإكرام" صفةً للوجه، وجاء في آية أخرى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)(الأعراف، ١٨٠) وفي تفسيرها يقول الإمام الصادق a :"نحن والله الأسماء الحسنى التي أمر الله أن تدعوه بها"، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾")) (الكليني، ١٤٠٧: ١/ ١٤٣؛ العياشي، ١٣٨٠: ٢/ ٤٢؛ المجلسي، ١٤٠٣: ٩١/ ٦ - ٧).

للذات الإلهية باعتبار تجلياتها وتعيناتها أسماء تكشف عن كمالاتها، وللبعض من هذه الأسماء سمة السيادة والجامعية على الأسماء الأخرى، ويُعبّر عنها بالاسم الأعظم، وفقا للأدلة النقلية فإن الحقيقة المحمدية i هي الاسم الأعظم، وتحيط بكل الأسماء الحسنى، بالنتيجة الحقيقة المحمدية هي المظهر التام والأتم للذات الإلهية، ويظهر أنّ كلام المؤمنين a يشير إلى هذا المعنى، حيث قال: "ما لله آية أكبر مني" (الكليني، ١٤٠٧: ١/٢٠٧؛ المجلسي، ١٤٠٣: ١/٣٦؛ القمي، ١٤٠٤: ٢/٤٠١) ومن البديهي أنّ خصوصية الآية هي التعريف بصاحب الآية.

١-٣-١-٥-النتيجة

بالنظر إلى أنّ العلم والإدراك يكون من باب الشهود والحضور والإحاطة وبالنظر إلى قاعدة الواحد والصادر الأول فإنّ نهاية العلم والإدراك عن الواجب تعالى ستكون ظهورات وتجليات الصادر الأول، ولا قدرة لممكن الوجود إدراك ما فوق ذلك.

من لوازم الاتحاد بين الظاهر والمظهر أنّ العلم بالصادر الأول هو نفس العلم بالذات

الإلهية لأنّ الصادر الأول هو وجه الله، ولا حكم يعطى للصادر الأول إلا بلحاظ ذات الباري سبحانه، وكذلك لا يمكن أن تتعلق أيّ معرفة بالحق والأسماء الإلهية إلا من خلال المعرفة بالصادر الأول ووجه الله، ومن هنا جاء في ورايات المعصومين a : " بِنَا عُبِدَ الله وَبِنَا عُرِفَ الله وَ بِنَا وُحِّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى)(الكليني، ١٤٠٧ق:١/١٤٥؛ الصدوق، ١٣٩٨: ١٥٢) ونقل عن أمير المؤمنين a أنّه قال: "معرفتي بالنورانية معرفة الله عزّ وجل ومعرفة الله عز وجل معرفتي بالنورانية"(المجلسي، ٢٦:١٤٠٣/٢)، وحتى من يقصد "هو" أي غيب الغيوب ينبغي أن يتوجه إليه بوجه الله "من قصده توجه بكم" (الصدوق، ١٣٧٨: ٢/٢٧٦).

وفي التوقيع الشريف الذي وصلنا عن إمام الزمان a وردت تعابير دقيقة حول المرتبة الوجودية للإنسان الكامل، ونشير فيما يلي إلى فقرتين منها: "لا فرق بينك وبينهم إلا أنّهم عبادك وخلقك"، و"بهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله أنت" (المجلسي، ١٤٠٣: ٩٥/٣٩٣؛ الطوسي، ١٤١١، ٢/٨٠٣؛ ابن طاووس، ١٤٠٩: ٢/٦٤٦).

بالنظر إلى الأفكار والنقاط المذكورة آنفا يرى الباحث أنّ الحقيقة المحمدية i هي المظهر التام والأتم للذات الإلهية، وجميع ما سوى الله هي ظهورات هذه الحقيقة، بعبارة أخرى مظاهر الصادر الأول في قوس الصعود والنزول أدت إلى إيجاد الكثرات؛ حيث تكون الأرواح المهيمة هي واحدة من هذه المظاهر في قوس النزول.

٢- عرض المسألة

حظيت المنابع والمصادر الوحيانية غير المحرفة باهتمام بالغ من المفكرين والعلماء، وذلك لمصونيتها عن الخطأ والتيقن بصحة مضامينها، وفي هذا المجال يعدّ القرآن الكريم والمصادر الحديثية من المنابع الغاية في الأهمية في مسائل وأبحاث العرفان والفلسفة الإسلامية، يحاول الفيلسوف المتألّه والعارف المفكر عرض نظرة للكون منطبقة مع القرآن الكريم ومع الأدلة والشهود، الأرواح المهيمة واحدة من التعاليم التي وردت في النصوص الدينية، ويعتمد العرفاء في معرفتهم على الشهود ولا يحاولون عموما تقديم أدلة على معارفهم ومشاهداتهم، لكن الفلاسفة المتألهين حاولوا بالبراهين إثبات الأرواح المهيمة والبحث في خصائصها.

وفقا للنظرة الكونية الفلسفية بعد مرتبة الذات يجب أن يكون السير النزولي لتجليات الذات الإلهية محدودا ليكون سببا في إيجاد مراتب العالم الثلاث؛ وهي: عالم العقول

والأرواح وفي صدره العقل الأول والأرواح المهيمة، ومرتبة عالم المثال وهو شبيه من جهة بعالم العقل وله خصائص المجردات، ومن جهة أخرى له بعض خصائص المادة، لذلك أطلق عليه اسم عالم "المثال"، والرتبة الأدنى وهي مرتبة عالم الطبيعة والمادة، ومن باب التعبد بالروايات أو الشهود العرفاني ذهب العرفاء للقول بأنّ مكانة الأرواح المهيمة هي في عرض العقول ومقدمة عليها وأنها ليست واسطة في الخلقة[٤].

ويحاول الباحث في هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية: ما هي ماهية الأرواح المهيمة؟ ما هي مكانة الأرواح المهيمة في عالم الخلقة؟ ما هي كيفية صدور الأرواح المهيمة؟ ما هو أثر هذه الأرواح؟

وفقا لقاعدة "الواحد" لا يصدر عن الذات الواحدة البسيطة الإلهية غير شيء واحد، وهو العقل الأول، ولكن من التناقض أن نقول أن الأرواح المهيمة موجودة في عرض العقل الأول أو مقدمة عليه؛ لأن ذلك سيعني صدور أكثر من مخلوق بلا واسطة من الواحد البسيط، فهل يمكن تقديم شرح وتفسير للأرواح المهيمة لا يتناقض مع القواعد الفلسفية مثل قاعدة الواحد؟

٢-١-المقام الوجودي للأرواح المهيمة

يرى الباحث معدّ هذه الدراسة أنّ الرتبة الوجودية للأرواح المهيمة هي بعد الصادر الأول، وأنها في عرض العقل الأول ومتقدمة عليه بالشرف، بعبارة أخرى العقل الأول والأرواح المهيمة هما صورتان من ظهورات الصادر الأول والحقيقة المحمدية i .

ويمكن شرح ذلك بأنّ تجليات وظهورات الصادر الأول أو الحقيقة المحمدية i من قبيل العقل الأول والأرواح المهيمة هي من طبقة الكروبيان وفي مرتبة واحدة، والاختلاف بينهما أنّ الأرواح المهيمة ولأنها مظهر لجلال وجبروت الذات الأقدس الإلهية فهي مهيمة في جبروتها، وعليه لا تتدخل في أمر التدبير والوساطة في إيجاد الموجودات، بخلاف العقل الأول الذي هو مظهر لجمال الحق، وله دور في أمر الخلق والوساطة في الإفاضة من الذات الإلهية على المخلوقات، وبالنظر إلى الأدلة النقدية المقدمة يمكن بشكل عام القول بوجود الخصائص التالية للأرواح المهيمة:

١. ليست واسطة في تدبير وخلق أي موجود، وبهذا المعنى ليس لها أي أثر في العالم.

٢. ليس لها معرفة بأي موجود غير الباري تعالى؛ بل حتى أنها لا تدرك أنفسها، وهي مهيمة بالجمال والجلال الإلهي.

٣. الأرواح المهيمة من حيث الرتبة الوجودية هي في عرض العقل الأول، ولا يوجد بينهما أي رابطة علية معلولية أو رابطة إظهار ومظهر.

وبناء عليه ليس للعقل الأول أي دور في إيجاد الأرواح المهيمة، وذلك لأنّ المجردات تعلم بعلتها ومعلولها، وما جاء في الروايات من عدم معرفة الأرواح المهيمة بالعالم وبآدم فهو يدل على امتناع صدور هذه الأرواح عن طريق العقل الأول، وذلك لأنّ العقل الأول جزء من هذا العالم وفي الفرض المذكور ينغي أن تكون الأرواح المهيمة عالمة بالعقل الأول.

وبناء عليه في مقام قوس النزول يكون العقل الأول والقلم الأعلى والأرواح المهيمة في المرتبة الأولى للإيجاد، وتنال الفيض من الباري تعالى بلا واسطة، وببيان عرفاني فإنّ النفس الرحمانية حينما تتعين التعين الأول وتلاقي أول قابل وهو العقل الأول وجمع من الملائكة المقربة يعبر عنها بالأرواح المهيمة؛ مع أنّ العقل الأول هو ملك مقرب أيضا.

وقد بين الشيخ في بعض مواضع كلماته أنّ الأرواح المهيمة مقدمة على العقل الأول بحسب رتبتها الوجودية، وفي مواضع أخرى عدّها في نفس رتبة العقل الأول، وقال الشارح في الجميع بين هاذين الرأيين المتناقضين ظاهرا:

"فإنَّهم (الملائكة المهيمة) من حيث عدم الواسطة بينهم و بين الحق في مرتبة القلم الأعلى، وإن كان من حيث ان شأنهم علمهم بربِّهم فقط لا بأنفسهم و بما تميَّز عن كل منه بخلاف القلم وما بعده أبسط منه، فكأنهم أقرب إلى الوحدة و لهذين الاعتبارين حكم الشيخ تارة بتقدمهم على القلم، تارة بمساواتهم معه في الرتبة". (حمزة الفناري، ١٣٧٤ش: ٢٥٩)..

الوجود المنبسط هو أول كلمة وجودية تخرج الأعيان الثابتة والماهيات الإمكانية من حدّ العلم إلى مرحلة الظهور، ومن ناحية هذا الفيض العام تجلت الأسماء الإلهية في صورها وتعيناتها، وتظهر كالصورة بما يتطابق مع ما فيها من خواص وذاتيات، هذه الخواص والذاتيات من ناحية الأسماء الإلهية، ومن مقتضيات الأعيان الثابتة، وكل صورة خارجية

تظهر من الأسماء تكون ذاتية ومعلولة للاسم الحاكم عليها، وبناء عليه تكون العين الثابتة للعقل الأول متناسبة مع الوجود العيني المفاض عليها، والأرواح المهيمة تطلب وجودا مناسبا لذاتها (عينها الثابتة)، وبذلك تضح الإجابة عن السؤال أنه كيف يكون الهيمان من خواص الأرواح التي خلقت في عرض الأول في حين أن كليهما موجودان بالوجود العقلي، ونسبة الوجود المنبسط إليهما واحدة، ومع ذلك هناك تباين في صفاتهما وخواصهما؟ وذلك لأنّ كل وجود إنما يظهر وفقا لعينه الثابتة.

بالنظر إلى أنّ الوجود الخارجي للأشياء ليس معلولا لأمر هو وراءها، يقول الشارح الفرغاني: "فعلم الحق سبحانه بالعلم الذاتي والتعلق الأزلي بها، ومنها ما يقتضي البروز في الرتبة الأولى الإيجادية كالقلم الأعلى والملائكة المهيَّمين فابرزها...المهيَّمين الذين تجلَّى لهم الحق في جلال جماله فهاموا فيه وغابوا عن أنفسهم فلا يعرفونها ولا غير الحق، فهم في رتبة العقل الأول، إلا أن نسبته إلى مظهرية الأسماء الذاتية الثبوتية من التعيّن والتجلي الأول نحو الواحد اقوى، ونسبة المهيَّمة إلى الأسماء الذاتية السلبية منهما نحو الفرد أولى".(حمزة الفناري، ١٣٧٤ش:٣٩١).

الأرواح المهيمة مظهر تجليات الأسماء الذاتية السلبية وقد تعينت بهذا التعين، ولذلك فإنّ خاصيتها هي الهيمان والفناء في الحق من دون أن تشهد ذاتها، ولذلك هي فانية في الحق ولا تشهد غير الذات الأقدس الإلهية، يقول ابن عربي في تفسيره "أنّ القلم الأعلى أول تعينات الحق في أول مجاليه الممكنة" كما قال في هذا التفسير "إنّ أول العوالم المتعينة من العماء عالم المثال (المراد عالم الواحدية لأنّ الحضرة العمائية واسطة بين مقام الذات والواحدية، ويسمى عالم الأسماء والصفات والأعيان الثابتة أي عالم الواحدية بعالم المثال الأكبر أو الأعظم، وذلك من باب أنّ الصور العلمية والأعيان الثابتة أمثلة للعوالم الوجودية) ثم عالم التهيم ثم القلم" (ابن تركه، مقدمة الآشتياني، ١٣٦٠: ٩٥). نعم يجب الانتباه هنا إلى أنّ هذا الكلام يكون على مبنى أنّ نعتبر كلا من مقام الأحدية -وهو مقام استهلاك الأسماء والصفات- ومقام الواحدية -وهو مقام التفصيل العلمي للأسماء والصفات- هما الذات الإلهية، وبعدهما يكون مقام عالم التهيم والعقل الأول" (ر.ك: حمزة الفناري، ١٣٧٤: ٣٩٢)

تقدم الأرواح المهيمة على العقل الأول من باب تقدم جلال الحق على جماله، ولا بدّ أنّ مظهر الجلال وهو الأرواح المهيمة مقدم على مظهر الجمال (العقل)، وهو تقدم بالمرتبة وبالشرف وليس تقدما زمانيا ماديا.

يقول ابن عربي: "((تجلى الحق تعالى بنفسه لنفسه بأنوار السبحات الوجهيَّة من كونه عالماً مريداً، فظهرت الأرواح المهيّمة من الجلال و الجمال و خلق في غيب الغيب المستور الذي لا يمكن كشفه لمخلوق العنصر الأعظم دفعة من غير ترتيب سببيّ أو على و ما منهم روح يعرف ان ثمَّة سواه لاستيلاء سلطان الجلال عليه، ثم انه سبحانه أوجد دون هؤلاء الأرواح بتجلٍ آخر ارواحاً متحيِّزة في ارض بيضاء و هيَّمهم فيها بالتسبيح و التقديس لا يعرفون ان اللّه خلق سواهم))[٥]"(ابن عربي، ١٣٣٦: ٤٩).

وصرح ابن عربي في الفتوحات أنّه في قوس النزول أول ظهور للحقيقة الكلية المحمدية i هو العقل الأول، ويعني الظهورات التي لها دور في السير النزولي وفي السلسلة الطولية للموجودات، ولذلك استثنى الأرواح المهيمة والتي يُعلم أنّ لها تقدما بالشرف على العقل الأول، وليس لها سمة أو دور في سير النزول ((فأول مبايع له العقل الأول ثم النفس ثم المقدمون من عمال السموات والأرض من الملائكة المسخرة ثم الأرواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات و ذلك أنه كل ما سبح الله من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه يبايعه إلا العالين من الملائكة و هم المهيمون و الأفراد من البشر الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرف وهم كمل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية)).(ر.ك: ابن عربي، بلا تا،٣ / ١٣٧)

٢-٢-إشكال وجواب

الإشكال الأول: كيف يمكن صدور شيئين (العقل الأول والأرواح المهيمة) من علة بسيطة واحدة؟ الإشكال الثاني: كيف يمكن ألا يكون للأرواح المهيمة أيّ سمة في السلسلة الطولية للمخلوقات؟

الجواب: إنّ الاعتقاد بوجود الأرواح المهيمة يتناقض أساسا مع قاعدة الواحد، وذلك لأنه إذا كان العقل الأول هو المعلول الأول والمتنزل عن علة العلل؛ ومن جهة أخرى فإنّ قولنا بوجود الأرواح المهيمة في عرض العقل الأول من دون أن يكون بينهما أي رابطة علية ومعلولية

فيلزم من ذلك صدور الكثرة من الواحد البسيط، وبالنتيجة يستلزم التركيب في علة العلل.

بعبارة أخرى إذا كان المعلول الأول والصادر الأول هو الوجود المنبسط فبالنظر إلى أنّ هذا الوجود بسيط وصرف ويخلو من جهات الكثرة (الكثرة الحاصلة من الوجود والماهية) فإذا ما قلنا بوجود الأرواح المهيمة في عرضه، فيلزم من ذلك صدور الكثير من الواحد، وذلك لأنّ لازمه حصول الكثرة في الذات الإلهية، بل يكون مستلزما للتكرار في التجلي، وإذا كانت الأرواح المهيمة مقدمة على العقل الأول في الخلقة يلزم أن تكون في مرتبة بين الحق والعقل، ولا بدّ أن ينتقل عبرها فيض الوجود من الحق إلى العقل الأول، وبالنتيجة سوف تكون جزء من سلسلة صدور الكثرة، بالتالي لا يمكن الادعاء أنه لا علم لها بآدم والعالم، وإذا ما كانت الأرواح المهيمة داخلة في نوع واحد، بحيث تصدر في عرض بعضها الآخر فيلزم من ذلك صدور الكثير من الواحد الحقيقي كما يستلزم تعدد أفراد النوع الواحد من دون مدخلية للمادة والمقدار، وإذا كانت الجهات الكثيرة في الحق موجبة لصدور الكثرة؛ فيلزم منه التركيب في البسيط الحقيقي.

السؤال الأساس في موضوع الأرواح المهيمة يتمثل في ماهية جهة صدورها(في العلة)؟ فإذا صدر عن ذات الباري تعالى شيئان (العقل الأول والأرواح المهيمة) وكانا كلاهما بلا واسطة فهذا يعدّ نقضا لقاعدة الواحد المتفق عليها بين جميع الفلاسفة والعرفاء.

ولم يشر المتقدمون من العرفاء إلى هذا الإشكال، ولم يعملوا على حلّه، ولكن تناولت بعض أعمال المتأخرين من العرفاء ومنهم الميرزا الآشتياني في كتابه أساس التوحيد هذه المسألة، وكذلك المرحوم السيد جلال الدين الآشتياني الذي محى صورة المسألة من الأساس وقال: "لا يوجد دليل قطعي على وجود الأرواح المهيمة، باستثناء عدد من روايات وأخبار الآحاد؛ حيث يمكننا إيجاد محمل وتفسير للموجودات المذكورة لها على غير الأرواح المهيمة".

وهذه الإشكالات كانت سببا في سكوت المتأخرين في باب الأرواح المهيمة، والبعض منهم ذهب للقول أنّ الأرواح المهيمة هي من شؤونات وظهورات الحقيقة المحمدية في مقام الصعود والعروج التركيبي".

ويمكن القول أنّ الصحيح في حقيقة وماهية الأرواح المهيمة ومقامها الوجودي هو التالي: للحقيقة المحمدية i -المحاذية لمقام الواحدية والصادر الأول- منازل في حال التنزل؛

حيث تكون الأرواح المهيمة هي رقائق هذه التنزلات بحسب المرتبة والشرف، وفي المرتبة التالية العقل الأول، وبناء عليه ترتفع إشكالات: نقض قاعدة الواحد، ووجود جهات الكثرة في الذات، وعدم التدخل في سلسلة الخلق، وذلك لأنه أولا: الحقيقة المحمدية i هي الصادر الأول، والأرواح المهيمة لن تكون في عرض الصادر الأول، ثانيا: نحو وجودها هو تجلي وظهور الأسماء الجلالية لذلك هي فانية في الذات الإلهية، بخلاف العقل الأول فهو تجلي وظهور الأسماء الجمالية للحق، وواسطة في خلق المخلوقات.

٣ـ النتيجة:ـ

مقام الأحدية هو أول ظهور لغيب الغيوب وتوجد في هذه المرتبة جميع الأسماء والصفات بنحو الإجمال، ومن ثمّ مقام الواحدية وتظهر فيه الأسماء والصفات بنحو التفصيل، ومن لوازم الأسماء الأعيان الثابتة والعقول، مقام الواحدية ولوازمه هو الوجود المنبسط أو الحقيقة المحمدية i ، ولهذه الحقيقة ظهورات مختلفة؛ بعض هذه الظهورات هي مظاهر للأسماء الجلالية، وبعضها الآخر مظاهر للأسماء الجمالية، ولها دور في سلسلة صدور الكثرة، والقسم الأول هو الأرواح المهيمة والتي لا تعلم شيئا عن نفسها وعن غيرها، وهي فقط مبهوتة بالجلال الإلهي ولا تقع في سلسلة صدور الأشياء، القسم الثاني هو العقل الأول، وعلى هذا الأساس يقول الملا صدرا: و أمّا الملائكة المهيّمون - وهم الذين لا تعلّق لهم بعالم الأجسام لاستغراقهم بمشاهدة جمال الأحديّة - فظاهر إنّهم خارجون عن أمر السجدة لغير اللّه و الانقياد لما سواه، و لا يشكل هذا بعموم قوله فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ لأنّ إطلاق الملائكة بناء على أنّه مشتقّ من ((الالوكة)) بمعنى الرسالة - كما مرّ - إنّما شاع على من له رسالة من اللّه إلى خلقه، والأرواح المهيّمة مقامهم فوق ذلك. والدليل على ذلك قوله تعالى: أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ أي الملائكة المرتفعين عن الالتفات بهذا العالم مطلقا - واللّه أعلم بأسرار خلقه وآثار أمره. (الملا صدرا، ١٣٦٦: ٣/٨٠).

ويبدو أنّ بعض الروايات التي تحكي أنّه يوجد ملائكة دائمة السجود أو الركوع للباري تعالى إنما تشير إلى أنواع الأرواح المهيمة.

وفي الختام فإنّ القول الصحيح بنظر الباحث في مسألة مقام ومكانة الأرواح المهيمة أنّ هذه الأرواح ليست جزء من العقول الطولية، بل هي أرواح (بحسب اصطلاح العرفاء)

وعقول (وفق اصطلاح الفلاسفة) يكون نحو ظهورها والأسماء الحاكمة عليها بحيث لا يكون لها تعين غير الاستغراق في الجمال والجلال الإلهي والتهيم به، وبحسب اصطلاح العرفاء الأسماء الجلالية حاكمة على الأرواح المهيمة.

أما ما ذهب إليه الملا صدرا والقيصري من نسبة الأرواح المهيمة إلى العقول الطولية والمثل الأفلاطونية، واعتبارهما أنها خارجة عن العالم وجزء من الصقع الربوبي فلا يتطابق مع أصول ومباني الملا صدرا ولا مع خصائص الأرواح المهيمة المنقولة في الروايات وكتب العرفان، وذلك لأنّ العقول علة لما دونها، والعلة المفيضة للوجود لها علم بمعلولها، في حين أنّ الأرواح المهيمة لا تعلم حتى بوجود أنفسها.

وبناء على هذا التفسير لنحو وجود الأرواح المهيمة ومقامها، لن نواجه إشكالات صدور الكثرة من الواحد البسيط، والتنافي مع قاعدة الواحد والتكرار في التجلي؛ وذلك لأنّ الصادر الأول الذي صدر عن الواحد البسيط هو الإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية i ، والعقل الأول والأرواح المهيمة سوف تكون من ظهورات الحقيقة المحمدية i .

هوامش البحث

(١). مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ عَنْ حَسَّانَ الْجَمَّالِ قَالَ حَدَّثَنِي هَاشِمُ بْنُ أَبِي عُمَارَةَ الْجَنْبِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ a يَقُولُ أَنَا عَيْنُ اللَّهِ وَ أَنَا يَدُ اللَّهِ وَ أَنَا جَنْبُ اللَّهِ وَأَنَا بَابُ اللَّهِ.

(٢). ورد في كتب العرفاء وعلى ألسنتهم تعابير مختلفة تصف الصادر الأول، وجميعها تكشف عن حقيقة واحدة؛ من قبيل: القيومية المطلقة، والفياضية العامة، والروح الأعظم، والقلم الأعلى، والحق الثاني، والحق المخلوق به، وروح القدس الأعلى، والمشيئة الثانية، والأزل الثاني، والحقيقة المحمدية، والرحمة الواسعة، وفلك الحياة، وعرش الرحمان، والتجلي الساري، والرق المنشور والنور المرشوش، والإنسان الكامل؛ وهي عبارات مختلفة إلا أنها تشير إلى ذلك الوجود المنبسط أو الحقيقة المحمدية، والمراد من الأول هو الأول الذي لا يتصور ثان له، أي أولا بلا ثانٍ (ر.ك: الآشتياني، ١٣٧٠: ١٦٠)

(٣). وقد وردت الإشارة إلى هذه الفكرة في روايات الأئمة عليهم السلام وهي أنّ مقام الذات لا سم له ولا صفة. أَوَّلُ الدِّيَانَةِ بِهِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَ شَهَادَةِ الْمَوْصُوفِ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ وَ شَهَادَتِهِمَا جَمِيعاً بِالتَّثْنِيَةِ الْمُمْتَنِعِ مِنْهُ الْأَزَلُ فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ وَ مَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ وَ مَنْ

قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَ مَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ جَهِلَهُ وَ مَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ وَ مَنْ قَالَ مَا هُوَ فَقَدْ نَعَتَهُ وَ مَنْ قَالَ إِلَامَ فَقَدْ غَايَاهُ- عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومَ وَ خَالِقٌ إِذْ لَا مَخْلُوقَ وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبَ وَكَذَلِكَ يُوصَفُ رَبُّنَا وَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ(الكليني، ١٤٠٧: ١/١٤٠).

(٤). تعبير الأرواح أكثر دقة من تعبير الملائكة، كما عبر عن هذا النوع من الموجودات في المصادر الروائية بتعبير "الروح" وعليه ليس من الدقة تسميتها بالملائكة المهيمة، لأن اسم الملائكة يطلق على مجردات موكل بها عمل تدبير ما دونها في حين أنّ الأرواح المهيمة ليس لها أيّ نسبة تدبير لما دونها.

(٥). قال الشارح الفاضل مؤلف المصباح حول الأرواح المهيمة: ((ان المهيمة لما كانت قسمين، جاز ان يكون المقيَّد بعدم المظاهر القسم الأول منهما، و التي مظاهرها الأفراد، هي القسم الثاني. بل التحقيق، انها ثلاثة اقسام، القسم الثالث منها، ماله مدخل في التسطير كالقلم و اللوح على ما قاله الشيخ الكبير- رض- و عن الرابع، ان مراد الشيخ في تصانيفه من المهيّمة من لم يكن له مدخل في التسطير، لا مطلق الأرواح النورية العالية من حيث خلوّها عن المظاهر الحسيَّة و المثالية. ثمَّ أقول، انما قال الشيخ الكبير في الحقيقة المحمدية المسمَّى بالعقل الأول إذ كان مراده بالحقيقة، روحه ونفسه الشريفة المقدسة كما مرَّ، فان حقيقته باتفاق المحققين هي حقيقة الحقائق)) (حمزة الفناري، ١٣٢٣هـ. ق:١٧٠و١٧١و١٧٢).

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ ق.
٢. ابن بابويه، محمد بن على، التوحيد، قم، جامعة المدرسين، ١٣٩٨ق.
٣. --------، عيون أخبار الرضا a ، طهران، نشر جهان، ١٣٧٨ق.
٤. ابن تركة، صائن الدين على، تمهيد القواعد، تحقيق وتصحيح: سيد جلال الدين الآشتياني، طهران، نشر وزارة الثقافة والتعليم العالي، ١٣٦٠ش.
٥. ابن رشد، تهافت التهافت، تصحيح: سليمان دنيا، القاهرة، ١٩٦٤م.
٦. ابن طاووس، على بن موسى، إقبال الأعمال، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٩ ق.
٧. ابن عربي، محي الدين، فصوص الحكم القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٤.
٨. --------، عقلة المستوفر، صور عن نسخة مطبعة بريل، لندن، ١٣٣٦ هـ.ق.
٩. --------، الفتوحات المكية، بيروت، دار الصادر، بلا تا.

١٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ق.
١١. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- دار صادر، ١٤١٤ق.
١٢. الآشتياني، السيد جلال الدين، شرح مقمة القيصري، طهران، نشر أمير كبير، الطبعة الثالثة، ١٣٧٠ش.
١٣. الخميني، السيد روح الله، مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، تحقيق وتصحيح: السيد جلال الدين الآشتياني، طهران، مؤسسة نشر مؤلفات الإمام الخميني، الطبعة الثالثة، ١٣٧٦ ش.
١٤. السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور، قم، نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤ ق.
١٥. الشعيري، محمد بن محمد، جامع الأخبار، النجف، المطبعة الحيدرية، بلا تا.
١٦. صدر الين القونوي، مفتاح الغيب(مصباح الأنس) بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.
١٧. الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة، قم، نشر جمعية المدرسين، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦ق.
١٨. الطوسي، الخواجة نصير الدين، شرح الإشارات والتنبيهات مع المحاكمات، قم، نشر البلاغة، ١٣٧٥ ش.
١٩. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١ ق.
٢٠. العياشي، محمد بن مسعود، التفسير، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية، ١٣٨٠ ق.
٢١. الفناري، محمد بن حمزة، مصباح الأنس، طهران، دار نشر المولى، ١٣٧٤ ش.
٢٢. الفيومي، أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، قم، نشر دار الرضي، بلا تا.
٢٣. القمي، على بن إبراهيم، تفسير القمي، قم، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ ق.
٢٤. القونوي، صدر الدين، النصوص، تحقيق وتصحيح السيد جلل الدين الآشتياني، مركز النشر الجامعي، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧١.
٢٥. القيصري، داود، شرح فصوص الحكم، تحقيق وتصحيح: السيد جلال الدين الآشتياني، طهران، شركة انتشارات علمي وفرهنگي، ١٣٧٥.
٢٦. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧ ق.
٢٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ ق.
٢٨. الملا صدرا، تفسير القرآن الكريم، قم، نشر بيدار، ١٣٦٦ ش.
٢٩. -----، شرح أصول الكافي، طهران، مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگي، ١٣٨٣ ش.